المخطوطات ومحتوياتها

كما أسلفت تم التنقيب واكتشاف نحو ٣٠٠ كهف فى قمران بيد أن أحد عشر كهفًا فقط هى التى أغلت مخطوطات كاملة وآلاف القطع من المخطوطات التى يعتقد أنها تمثل بل تضم مخطوطات مختلفة. وبعد الفحص اتضح أن الأنواع المختلفة من المخطوطات الكاملة تتضمن بالدرجة الأولى كتابات من الكتاب المقدس ومخطوطات أبوكريفية (أسفار غير معترف بها)، كتابات مزورة منسوبة للعهد القديم، كتابات خاصة بالطائفة، شروح وتفاسير لأسفار الكتاب المقدس. وربما كانت هناك عشرة مخطوطات فقط هى التى وجدت فى حالة ممتازة وكاملة؛ وهناك بعض النصوص التى لم تمثل إلا بقطعة واحدة فقط بين هذه الآلاف من القطع.

ومن نوافل القول أن بعض الأسفار التى اكتشفت فى قمران كانت فى أكثر من صيغة مثل سفر عيسياه. وبعض الصيغ تمثل الصيغة المعيارية القياسية (المازورية) أى النص العبرى التقليدى كما ورد عن السلف على نحو ما هو موجود فى أسفار موسى السامرية، وبعض تلك المخطوطات على قلتها تقترب زمنا من الأصول التى نقلت عنها مثل سفر دانييل الذى يعتقد أنه كتب سنة ١٦٥ ق.م. وبعض الأسفار كتب بصيغة غير معروفة لدارسى وباحثى الكتاب المقدس. وكما سنرى فى طول هذا الكتاب وعرضه أن مكتبة قمران تقدم معلومات شديدة الأهمية فى مجالات عديدة وليس فقط فى الدراسات العبرية ودراسات الكتاب المقدس وإنما أيضًا فى التاريخ وعلم الكتابة واللغات والاجتماع والآثار وما إليها. لقد أمدتنا كتابات الطائفة المدنية بمعلومات هامة أيضًا لها شأنها سدت ثغرات عديدة فى نسيج المعرفة الإنسانية؛ وخاصة فيما يتعلق بالفترة ما بين ١٥٠ق.م – ٧٠م.

لقد قدمت كهوف وادى قمران نحو [٤٠٠- ٨٠٠- ٩٠٠- ١٠٠٠] مخطوطة كاملة بيد أن عشرة منها فقط هى التى وجدت فى حالة ممتازة، وكما أسلفت كانت هناك آلاف القطع المخطوطة، وبعض النصوص لم تمثل إلا بقطعة واحدة.

ويرى الثقاة أن كهف رقم ٤ يمثل المكتبة الأم للطائفة وحيث أغل الجزء الأكبر من المخطوطات الكاملة والقطع المخطوطة؛ وحيث لم يعثر الأثريون هنا على جرار بل وضعت المخطوطات على مصاطب، وحيث توحى حالة اللفافات المخطوطات والقطع المخطوطة، أنها كانت تستخدم كثيرا وأنها مخطوطات أصلية قديمة ويرى بعض الثقاة أن وجود شرائح طويلة من بعض اللفافات يشير إلى إساءة استخدام الكهوف فى العصور القديمة. كما يذهب هؤلاء الثقاة إلى أن الكهف ١، الكهف ٣ كان يستخدمان لإخفاء المخطوطات والأشياء الثمينة، ويرجحون أن بقية الكهوف التى عثر فيها على المخطوطات كانت تستخدم كخلايا للرهبان الأفراد وليست للاستخدام الجماعى وحيث وجدت المخطوطات والأدوات المنزلية على نفس الحالة التى تركتها عليها. وأقدم فيما يلى مخططًا لأنواع المخطوطات والقطع المخطوطة التى عثر عليها ريثما أعود إليها بالتفصيل فى الفصول القادمة. وحيث يقسم الثقاة تلك المخطوطات إلى ست فئات: مخطوطات الكتاب المقدس – الأبوكريفا والأسفار غير المعترف بها – كتابات مزورة شبيهة بالعهد القديم – كتابات تخص الطائفة – شروح وتفاسير الكتاب المقدس وأسفاره – كتابات أخرى متفرقة.

أولاً: مخطوطات الكتاب المقدس:

أ- ٢٥٪ من المخطوطات التى عثر عليها تحتوى على نسخ من أسفار الكتاب المقدس.

ب- جميع أسفار الكتاب المقدس وجدت منها نسخ فى مخطوطات قمران ما عدا سفر (إيثر). وكما يقول الأثريون لقد فشل سفر إثير فى أن يظهر بين مخطوطات البحر الميت، بينما ظهرت قطع من سفر تثنية الاشتراع، عيسايا، الأنبياء الأصاغر، المزامير بأكثر من عشر نسخ لكل منها.

ج- بعض نسخ أسفار الكتاب المقدس تقترب زمنا نسبيًا من الأصول التى أخذت عنها ويمثلها بأناقة شديدة. ١- مخطوطة سفر دانييل من الكهف ٤ والذى يبعد نصف قرن فقط عن الأصل الذى يعتقد أنه وضع ١٦٥ ق.م تقريبًا ٢- مخطوطة الكنسيين Ecclesiastes ق.م).

د- فى حالة أسفار موسى الخمسة لوحظ اتباع النص المعيارى المازورى فى غالبية القطع التى وصلتنا. وربما كان الاستثناء (والذى يقترب من النص العبرى الموجود فى الترجمة السبعينية) هو الموجود فى نسخة من سفر الخروج، نسخة من سفر الأعداد ولفافة صغيرة تحتوى على أنشودة موسى (الخروج ١٥). وفى نسخة أخرى من سفر الخروج نجد أنفسنا أمام النص الموجود فى أسفار موسى السامرية.

هـ- وجدت قطع من سفر (الأنبياء السابقون) فى أربعة من الكهوف الإحدى عشرة ويبدو أنها قد أخذت من نفس النص العبرى الذى ورد فى الترجمة السبعينية، وذلك على ما هو شديد الوضوح فى مخطوطة صموئيل١. وهناك نسخة أخرى من مخطوطة صموئيل ترجع إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد؛ ويبدو أنها تتفوق فى مكانتها سواء على الترجمة السبعينية أو النص المازورى نفسه.

و- وفيما يتعلق بالأنبياء المتأخرين كان عيسياه هو أوفر الأنبياء حظًا من حيث عدد النسخ التى وجدت منه، وإن كان الآخرون قد مثلوا تمثيلاً جيدًا أيضًا. وحيث هناك لفافة كاملة وأخرى غير كاملة وإن كانت كبيرة من سفر عيسياه وجدت فى الكهف رقم ١ وإحدى النسخ تسير على الأسس المازورية المعيارية. أما النسخة الكاملة فهى نسخة شعبية. ونمط الترجمة السبعينية موجود فى نسخة واحدة: سفر جيريمياه. والنص هنا أقل بالثمن من النص المازورى. وقد أكد الباحثون أن غالبية مخطوطات سفر الأنبياء المتأخرين تتبع التقاليد المازورية.

ز- الخطوط التى كتب بها سفر أيوب هو الخط العبرى المربع العادى والخط العبرى القديم (الباليو) والخط الآرامى التقليدى. والنسخ الثلاث التى وصلتنا كلها عبارة عن قطع. والترجمة الآرامية لسفر أيوب لها أهمية خاصة إذ يبدو أنها الترجمة التى أدانها الربابينى جماليل الأول. ويعتقد أنها من بين أقدم الترجمات التى حافظت على الكتابة العبرية.

وهناك ما لا يقل عن دستة من المخطوطات المقطعة للمزامير. ويبدو أن سفر دانييل كان من بين الأسفار الأكثر قراءة وحيث وجدت منه نسختان فى الكهف رقم ١ وأربع نسخ فى الكهف رقم ٤ ونسخة فى الكهف رقم ٦. وغالبية هذه النسخ تتبع النص المازورى باستثناء بعض الخلافات القليلة الناتجة عن اتباع الترجمة السبعينية.

ثانيًا: الأبوكريفا

الأبوكريفا هى فيما يقال ١٤ سفرا تلحق بالكتاب المقدس العبرى ولا تعترف بها الكنيسة وتذكر المصادر الثقاة أن شريعة يهود الاسكندرية تتضمن أسفارًا إضافية معينة وجدت أيضًا فى الشعائر والكتابات المقدسة للكنائس الباكرة ولا أصل لها فى الكتاب المقدس العبرى الأصلى. ومع ذلك فقد وجد من بين مخطوطات وادى قمران ثلاثة نماذج من أسفار الأبوكريفا هذه: توبيت، إكليسستيكوس (أو بن سيرا)، رسالة جيريمى.

ثالثًا: الأعمال المزورة أو شبيهة العهد القديم:

هذه الأعمال تقليد لبعض أجزاء العهد القديم ولذلك يطلق عليها الأعمال المزورة أو شبيهة العهد القديم. وقد وجدت فى قمران كمية كبيرة من المخطوطات تمثل هذه الفئة. وواحد فقط من هذه الأعمال – سفر اليوبيل – هو الذى وجد بنفس نصوص الترجمة القديمة والتى كانت حتى وقت قريب المصدر الرئيسى لهذه الأعمال. وقد أغلت الكهوف ١، ٢، ٤ قطعًا تمثل على الاقل عشر نسخ من هذا العمل (اليوبيل).

ويعتبر سفر إينوخ التقليد من الأسفار المخطوطة فى هذه الفئة وحيث وجدت منه قطع فى الكهف ٤ تمثل عشرة مخطوطات.

ولا يوجد أى أثر فى مخطوطات الكهوف لـ (عهد البطاركة الاثنا عشر) المكتوب بالعبرية أو الآرامية، والذى اعتبره بعض الباحثين أساس النص اليونانى الذى بين أيدينا الآن وإن كانت هناك بعض قطع أخرى تساعدنا فى التعرف على بعض المصادر المستخدمة.

ولقد عثر فى الكهف رقم ١ على سفر تقليد لسفر الخروج. وتذكر المصادر أنه آخر اللفافات التى تم فضها.

ومن بين الأعمال المزورة أو المقلدة التى وجدت فى قمران نستطيع أن نميز:

١- سفر تقليد جيريمياه ولكنه فاقد الصلة أو ذو صلة واهية ببقية الأعمال المنسوبة إلى هذا النبى أو تلك المنسوبة إلى سكرتيره (باروخ).

٢- مزامير حوشوا.

٣- رؤيا أمرام والد موسى وقارون.

٤- بدايات لفافة صغيرة بالأرامية عنوانها (صلاة نابونيدوس) والتى يبدو أنها كانت المصدر الذى استخدمه – سواء فى النص المكتوب أو الشفوى – مؤلف سفر دانييل عندما تحدث عن مرض (نيبوخ أدنزار).

رابعًا: الكتابات الطائفية:

ويقصد بها تلك الكتابات التى تتعلق بالطائفة نفسها وتنظيمها وأهدافها وهى كثيرة وممثلة تمثيلاً جيدًا فى مخطوطات قمران وتضم:

أ- "دليل النظام" أو ما يمكن أن نطلق عليه دليل عمل الجماعة أو اللائحة التى تنظم عمل الطائفة، وقد وجدت منه نسخ كاملة فى الكهف الأول والعاشر، كما وجدت منه قطع مخطوطة فى الكهف الرابع.

ب- وثيقة دمشق. وقد وجدت منها نسخ كاملة فى الكهوف ٤، ٥، ٦. وكانت هذه الوثيقة قد عرفت قبل اكتشافها فى الكهوف إذ عثر على نسختين منها فى جنيزة القاهرة فى العقد الثانى من القرن العشرين وهى تقع فى قسمين، القسم الأول عبارة عن تعليق على خطة الله (وهذا الكلام ليس من عندى إنما هو من المصادر) للخلاص، والقسم الثانى يضم القواعد اللازمة لحياة أعضاء الجماعة فى الدير الجديد فى معسكراتهم فى أرض دمشق. وإن كانت نسختا القاهرة تقسم الوثيقة إلى قسمين فإن نسخ قمران والتى يمكن تأريخ أقدمها بما بين ٧٥ ق.م و ٥٠ ق.م تضم القسمين فى نص واحد متصل.

ج- "حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام". وجد هذا المخطوط بداية فى الكهف الأول، وبعد ذلك عثر فى الكهف الرابع على قطع من مخطوطة الحرب تمثل ثلاث نسخ مختلفة من نفس النص، مع مخطوطتين آخريين من نفس الكهف إحداها فى حالة جيدة تؤكد وجود نص مختلف من مخطوطة الحرب.

د- تراتيل أو ترانيم تقديم الشكر. وهى لفافة طويلة جاد بها الكهف رقم ١ وهى فى حالة سيئة من التمزق والتهرؤ... ومعظم هذه التراتيل تبدأ بعبارة (أشكرك يا الله).

خامسًا: شروح وتفاسير أسفار الكتاب المقدس:

هذه الشروح والتفاسير هى أساسًا من أعمال الطائفة؛ وهى ذات نمط موحد وحيث يتم نسخ نص أو متن السفر ثم يتم التعليق عليه وشرحه وتفسيره بعد ذلك آية بآية ويقدم لكل تعليق أو شرح بصيغة معينة مثل (وتفسير ذلك هو:-).

وهناك ثلاثة أنماط من تفاسير الكتاب القدس وصلت إلينا والفصل بينها هو فصل تعسفى وإن كان أحد الأنماط الثلاثة يغلب على تلك التفاسير:

١- تفسير سفر: حبقوق، ميكاه، المزامير، التفسير هنا يتم على ضوء أو فى علاقته بتاريخ الطائفة.

٢- تفسير ناحوم هنا أيضًا يتصل باهتمامات الطائفة ولكن فى علاقته ببعض الجماعات العرقية فى فلسطين ودورها فى الأحداث الجارية.

٣- تفاسير وتعلقيات نص (عيسياه)، يلاحظ أن تفسير كلمات هذا النبى تتم على ضوء الأمور الآخروية.

وهناك وثائق أخرى تتضمن اقتباسات وفقرات قصيرة من سفر الخروج، صموئيل ٢، عيسياه، المزامير، عاموس، دانييل:

١- يبدأ الاقتباس عادة بصيغة "كما هو مكتوب فى سفر عيسياه، دانييل ..."

٢- وكل المخطوطات التى تحمل تفاسير وشروحًا وتعليقات ترجع لفترات متأخرة لمجتمع قمران.

٣- لا يوجد من أى عمل فى هذا الفئة أكثر من نسخة.

سادسًا: كتابات أخرى وجدت فى قمران:

وجدت كتابات أخرى متنوعة المجالات خارج الفئات الخمس السابقة والتى يمكن حصرها على النحو الآتى:

أ- أغل الكهف رقم ٤ الكثير من القطع المخطوطة التى تحتوى على تراتيل وترانيم وشعائر.

ب- كما أغل نفس الكهف سلسلة من المخطوطات يطلق عليها بالعبرية (مشماروت) والتى يمكن ترجمتها بالمساقات أو المسارات والتى تصف بالتفصيل تداول خدمة العائلات القسية فى "المعبد" طبقًا للتقويم الشمسى ومقابلها بالتقويم القمرى.

ج- وجدت مخطوطة بالعبرية يمكن عنونتها (وصف القدس السماوية) أو المقدسة وهى تحتوى على رؤية شديدة التفصيل للمدينة المقدسة والمعبد، ربما يكون قد تم استقاؤها من الفصول الأخيرة فى سفر حزقيل.

د- وهناك قطعتان مخطوطتان نحتويان على أعمدة ذات علامات لـ زودياك، هذه العلامات موزعة على أيام الشهر ويعقب ذلك تنبؤات بما يأتى به الرعد.

ويرى بعض الثقاة أن من الأشياء الممتعة فى اكتشافات قمران أن المخطوطات فى الأعم الأغلب كان محفوظة فى جرار من فخار من طين. وعلى الرغم من أن الجرار التى خرجت من الكهف رقم ١ كانت مكسرة إلى حد كبير ربما بفعل همجية البدو فى التنقيب، إلا أن إعادة تكوين هذه الجرار من القطع المتناثرة فى الموقع كشفت عن أن هذه الجرار كانت أسطوانية الشكل وتبلغ فى المتوسط قدمين ارتفاعًا وقدما واحدًا عرضًا (قطرًا). وكان اكتشاف إحدى الجرار السليمة فى خربة قمران فى حالة سليمة تمامًا واكتشاف عشرات منها بعد ذلك فى الكهوف القريبة قد أكد أن هذه الجرار كانت تستخدم فى تخزين المواد المستخدمة فى الحياة اليومية ولم تصمم خصيصًا لوضع لفافات المخطوطات على عكس ما كان الاعتقاد السائد قبل ذلك.

وكانت الجرار من هذا النوع قد استخدمت منذ قرون قبل الميلاد لتخزين دائرة

واسعة من المواد؛ ويرى الثقاة أن هذا التقليد قد نبع فى مصر القديمة منذ المملكة القديمة أى بين ٢٧٠٠- ٢٢٠٠ ق.م، عندما أخذ المحنطون فى وضع الأعضاء الحيوية من جسم الميت فى جرار كانوبية، هذه الجرار كانت توضع بدورها إلى جوار المومياء فى المدفن.

وقد غدا من التقليد فى الشرق الأدنى القديم تخزين الأشياء الثمينة فى مثل هذه الحاويات التى كانت تقوم مقام خزانات الأمانات فى الوقت الحاضر. ويسجل سفر جيريمياه أن الأشياء الثمينة المشتراة بالقرب من القدس كان يغلق عليها بمثل هذه الطريقة. وكانت اللفافات أيضًا التى تحوى الأعمال الفكرية تختزن أيضًا فى جرار ثم يغلق عليها بغطاء أيضًا من طين وقد امتد هذا التقليد بالقطع فى الحقبة المسيحية لبعض الوقت.

وكان هؤلاء الذين أودعوا لفافات قمران فى تلك الجرار قد اتبعوا بالضرورة تقليدًا قديمًا يقضى بتغليف اللفافات بعدة طبقات من قماش محلى قبل إغلاق الجرار. ويبدو أنه كان هناك نوع من زيت السيدار أو أية مواد حافظة أخرى كان يستخدم فى عملية تخزين اللفافات على نحو ما نجده فى حالة اللفافات الكتانية الموجودة حول لفافات كهف قمران الأول.

ومهما كانت الاحتياطات التى أتخذها الأقدمون فى حفظ وصيانة (مخطوطات البحر الميت) إلا أنهم لم يتوقعوا أن تصل إلينا فى الألفية الثانية. وربما كانت الأحوال المادية داخل الكهوف مختلفة تمامًا عن تلك الموجودة فى أعماق غرف الدفن فى قلب الأهرامات أو السطوح الصخرية فى وادى النيل. وكما أسلفت فلقد أغلت معظم الكهوف التى تم التنقيب فيها بقايا سكنى بشرية وحيوانية من فترات متباينة تمامًا وواسعة. ومن المؤكد أنه عبر تلك الفترات حدثت تدميرات من جانب هؤلاء البشر والحيوانات إلى جانب ما أحدثته الزلازل والهزات الأرضية من تساقط للصخور. ولقد كانت عمليات الحفر والاكتشاف والتنقيب برمتها واحدة من أكثر المشروعات صعوبة وخطرًا. ولقد أضاف هؤلاء الذين حققوا النجاح للمشروع للدراسات الإنسانية ودراسات الكتاب المقدس شيئًا كبيرًا؛ وسيبقى عالم البحث العلمى مدينا لهم بالشيء الكثير لعقود كثيرة قادمة.

ولقد كان الجهد البدنى الذى بذل لاكتشاف قطع المخطوطات وانتشالها من بين التراب والغبار عملاً شديد التعقيد باستمرار وخاصة مع هشاشة المخطوطات نفسها. ذلك أنه عندما تم حفر وتنقيب الكهف رقم ١ وقعت العملية فى ظل ظروف بالغة الصعوبة تطلبت فرشا من شعر الجمل فقط فى كشف المخطوطات حتى لا يحدث لها المزيد من التلف. وعندما تم كشف مختلف المواقع كان لا بد من حمل قطع المخطوطات بعناية شديدة إلى متحف فلسطين حيث تم إعدادها إعدادًا واعيًا للمزيد من الفحص والاختبار. وفى كثير من الأحيان كانت المخطوطات تفرغ من الهيدرات وتغطى بطبقة من التراب الأبيض الناعم، وقبل الفحص والاختبار كان لا بد من إعادة الهيدرات ثم تنظف جيدًا وهى جميعًا إجراءات تتطلب قدرًا كبيرًا من الحيطة والحذر.

ويعد تنظيف قطع المخطوطات التى تم اكتشافها من كل المواقع يصير تصويرها تصويرًا فوتوغرافيًا وتصنف حسب اللغة والمحتوى. ولما كان من السهل نسبيًا تمييز مخطوطات الكتاب المقدس وقطعه، إلا أن المخطوطات غير المقدسة كانت تمثل صعوبات بالغة. فنصوص الكتاب المقدس معروفة، بينما النصوص خارج الكتاب المقدس كان لا بد من معارضتها بنسخ حديثة يمكن تمييزها. وبمجرد تمييز قطع المخطوطات كانت توضع بين لوحين من الزجاج فى قسم اللفافات بالمتحف، ومع المزيد من اكتشافات قطع البردى أو الجلود أصبح من السهل تجميع قطع المخطوط الواحد معًا.

ومن نوافل القول أن هذا العمل هو بالضرورة بطيء ومل وحيث كان لا بد من بذل جهد ضخم ومرهق قبل تحقيق ولو قدر قليل من النجاح فى تجميع قطع المخطوط الواحد. وكانت العملية كلها تلقى عبئًا بدنيا وضغوطًا عقلية على هؤلاء الذين يقومون بها. وهى حقيقة لا يحيط بها إلا فريق الباحثين الدولى الذى تجشم عناء جمع ونشر تلك المخطوطات.

وثمة مشكلة أساسية نبعت بالضرورة عند تحديد المخطوطات الكبرى التى أغلتها كهوف قمران حيث وجدت أساليب وصيغ مختلفة فى نسخ تلك

المخطوطات. ولو أنه كانت هناك نسخة واحدة من تلك المخطوطة لكان من السهل وصفها بعنوانها والاشارة إليها بذلك العنوان؛ بينما فى حالة تعدد النسخ كان لا بد من وضع نظام لتحديد كل نسخة ووصفها وإعطائها وسيمة للإشارة إليها. وكان هذا النظام يربط الوثيقة الواحدة بالموقع الذى وجدت فيه. وعلى سبيل المثال فإن لفافة عيساياه التى قام بشرائها دير سانت مارك الأرثوذكسى فى القدس وسمت بـ (IQISa) وهكذا تم تمييزها عن قطعة لفافة عيساياه التى اشتراها البروفيسور سوكنيك التى أتخذت وسيمة (1QISb) ودليل النظام أو قواعد المجتمع اتخذ وسيمة (IQS) فى حين اتخذ شرح حبقوق (1QpHab). وقد ميزت لفافة تقديم الشكر بالوسيمة (1QH) ووثيقة الحرب تم تمييزها بالوسيمة (1QM).

وكما ألمعت سريعًا من قبل أغلت الحفريات التى جرت فى مطلع ١٩٤٩ على يد الفريق الرسمى ما يربو على ستمائة قطعة مخطوطة كلها جاءت من الكهف رقم ١ بعد قدر كبير من العمل الشاق. وقد تم إنقاذ هذه الرقوق من فوضى التنقيب التى أحدثها البدو الذين كانوا يصطادون الكنوز بطريقتهم الخاصة فى هذا الكهف. وقد تضمنت هذه القطع أقسامًا صغيرة من اللفافات التى كانت قد اكتشفت سنة ١٩٤٧ حين الكشف الأول لهذا الكهف. وكان التعرف على العلاقات بين تلك القطع الصغيرة والمخطوطات الأصلية لها قد أضفى الحجية على هذه المخطوطات الأصلية. ومن أسفار الكتاب المقدس التى تمثلت فى تلك القطع الصغيرة: أسفار موسى والقضاة إلى جانب قطع من الكتابات الشرعية وبعض الشروح والتفاسير القليلة.

من بين قطع الرقوق الستمائة هذه قطع من أسفار موسى تحتوى على عدة إشارات قصيرة من ليفيتيكوس نسخت بالخط العبرى القديم أو الخط الفينيقى الذى كان قد استخدم لعدة قرون قبل تبني الحرف الآرامى المربع قرب نهاية القرن الثالث قبل الميلاد. وقد أثارت تلك الحقيقة عدة تساؤلات حول تاريخ كتابة تلك القطع وانتماءاتها وبعد كثير من التحليلات استطاع دى فوكس تحديد تاريخ المخطوطات الأم لتلك القطع بالقرن الرابع قبل الميلاد. أما أولبرايت فقد قرر من

جهة أخرى بأن تلك القطع قد كتبت بما سماه الخط القديم الذى استمر فى الاستخدام طيلة ثلاثة قرون على الأقل.

ومن أعمال الأبوكريفا التى تم كشفها فى حالة متهرئة ومقطعة فى الكهف الأول قمران: سفر نوح، عهد ليفى، سفر اليوبيل. وسفر اليوبيل رغم عدم اعتراف الكنيسة به إلا أن له أهمية خاصة حيث كتب بالعبرية ومن ثم أثار بالضرورة الجدل حول اللغة الأصلية التى كتب بها. ويذكر الثقاة أن سفر اليوبيل تم جمعه من مصادر باكرة سابقة عليه وكتبه بالعبرية مؤلف فارسى (Pharisaic) بين ١٥٣ ق.م و١٠٥ ق.م. ويذكر ثقاة آخرون أن الكتاب الأصلى كتب بالآرامية. وأن قطع قمران هذه المكتوبة بالعبرية هى نموذج جيد على (الترجمة بين اللغات السامية). ويخلص باحثون آخرون إلى أن الحكم على اللغة الأصلية للكتاب بناء على قطع المخطوطات التى وصلتنا من (كتاب اليوبيل) من كهف قمران رقم ١ هو حكم تعسفى وعلينا أن ننتظر.

وفى ظل هذا الجدل لا بد من الأخذ فى الاعتبار المخطوطات التى استخرجت من كهف قمران ١ على يد رجال قبيلة (طعم الريح) سنة ١٩٤٧ وحيث لم يغل هذا الكهف بعدهم مخطوطات تقارن فى قيمتها وأهميتها المخطوطات التى استخرجوها منه بداية. ذلك أنه من أهم المخطوطات التى استخرجوها كانت لفافة عيساياه الكبيرة والتى نشرتها (المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية). هذه اللفافة كتبت بخط عبرى واضح استغرقت سبعة عشر درجًا (فرخًا) من الرقوق خيطت معًا ختامًا لختام. وعندما تم فض هذه اللفافة كان طولها ٢٤ قدمًا وعرضها قدمًا واحدًا (٧٢٠سم × ٣٠ سم).. وقد بلغ متوسط عدد السطور فى العمود الواحد ٢٩ سطرًا؛ وبدلا من تقسيم النص إلى فصول وآيات كما جرى عليه العمل فى الوقت الحاضر قسمت النبوءة إلى أقسام محددة بوضوح وكل قسم إلى فقرات. وغنى عن القول أن هذا التقسيم يتواكب فى أقسامه الكبرى مع فصول الكتاب المقدس الحديث.

ورغم أن هذه اللفافة كان يتم تداولها بكثرة فى العصور القديمة بحيث تحتاج إلى

ترميم إلا أن التلف محدود والثقوب قليلة للغاية مما جعل ترميم هذه اللفافة أمرًا سهلاً نسبيًا. وقد اختفت تقريبا علامات التسطير. ويبدو أنه عندما خفت الحبر الأصلى تمت إعادة الكتابة عليه فى الكلمات غير الواضحة بذاتها. وقد تم تصحيح أخطاء النسخ بالعديد من الطرق وتعدد الأيادى التى قامت بالعمل واضح فى مواضع قليلة من النص. وهناك سلسلة من الرموز الهامشية الغريبة لم نألفها فى الكتاب العبرى ربما قصد بها تقسيم النبوءة إلى أقسام لأغراض الشعائر أو التكريس.

أما النسخة من سفر (عيسایاه) والتى وقعت فى حوزة البروفيسور سوكنيك فقد كانت ممزقة مقطعة وتحللت إلى حد كبير مع مرور الوقت ولذلك جرى ترميمها من الخارج بسائل جلدى وكانت فى البداية مستعصية على الفرد والفض ومن ثم كان من الصعب تقرير طبيعة محتوياتها وبعد معالجة الموقف وفض اللفافة اتضح أنها تحتوى على قطعة واحدة كبيرة وعدد من القطع الأصغر. وهكذا كان فعل الزمن بحيث لم نستطع أن نقرأ العديد من أعمدة الكتابات المقدسة إلا بعد التصوير الفوتوغرافى بالأشعة تحت الحمراء. وبعد إجراء هذه العملية الدقيقة بات واضحًا أن القطع الصغيرة تشتمل على فقرات من الفصول الأولى للنبوءة بينما الجزء الأكبر من المخطوط ضم الثلث الأخير من سفر (عيسایاه) مع وجود بعض الفجوات فى النص. وعندما تم جمع القطع على هيئة دروج أو فروخ بلغت القطعتان الصغيرتان عشر بوصات طولاً فى ست بوصات عرضًا؛ بينما القطعة الكبرى بلغت ١٨ بوصة طولاً و٨ بوصات عرضًا. وقد لاحظ سوكنيك أن نص لفافتين من عيسایاه أقرب فى قراءته من النص المازورى فى المخطوطات المتأخرة على عكس نسخة كبير الأساقفة صموئيل.

تذكر المصادر أن أجمل المخطوطات وأوضحها خطًا والتى أغلها كهف قمران رقم ١ هو شرح سفر حبقوق وحيث يشتمل هذا السفر على قطعتين من الرقوق مخاطتين معًا ويبلغ الطول خمسة أقدام والعرض سبع بوصات وهناك آثار تسطير للسطور والأعمدة واضحة على سطح الدروج وقد كتبت الحروف فوق السطور كما هو الحال فى سائر المخطوطات. ولسوء الحظ كان هناك تحلل أو تلف أصاب

الجلد من أسفل إلى أعلى بطول اللفافة مما أسفر عن طمس بعض السطور من كل عمود. وهناك تآكل فى بداية النص ولكن لم يصب إلا عمودًا واحدًا ويبدو أن الناسخ كان ماهرًا بحيث لم يخلف وراءه إلا تصحيحات قليلة فى المخطوط. وكانت حروفه أكبر نسبيًا من حروف نسخة عيساياه الكبيرة ولأن الحبر قاوم الزمن ولم يتحلل عبر القرون فقد جاء الخط ثقيلاً واضحًا وجعل القراءة سهلة نسبيًا. ولم يرد فى حبقوق إلا الفصلان الأولان على نحو ما وجد فى النص المازورى، ربما لأن الفصل الثالث – الذى هو فى حقيقة الأمر مزمور – لم يكن مناسبًا فى السياق الذى وضع فيه شرح حبقوق. وكما ألمعت كانت الطريقة التى اتبعها الشارح تقتضى أقساما قصيرة من النبوءة ويأتى الشرح عقب كل فقرة على ضوء تاريخ الطائفة التى نبع منها التفسير.

ويبدو أن شرح حبقوق يقسم النص المازورى من حبقوق إلى خمسة أقسام كبرى على النحو الآتى:

١- عدم العدالة الاجتماعية والدينية.
٢- ظلم الأمة على يد قوة خارجية.
٣- المعلم المستقيم وأتباعه.
٤- الكاهن الشرير وحزبه.
٥- عقاب الله للوثنيين.

وكما أشرت من قبل فإنه عقب إيراد النص الوارد فى حبقوق يبدأ التفسير بعبارة (وتفسيره هو ...) أو ما شابه ذلك من عبارات. ولم يكن الهدف من التفسير هو شرح أو استخلاص المعنى الوارد فى الكتاب المقدس بقدر ما كان الهدف هو ربط النص بحالات وأوضاع محددة داخل الطائفة التى نبع التفسير بين ظهرانيها.

وفيما يتعلق بـ (دليل النظام)، أو (وثيقة الطائفة)، أو (لائحة المجتمع) التى تم اكتشافها ضمن ما اكتشف فى كهف قمران الأول فإنها آلت إلى "المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية" فى قطعتين منفصلتين على ما اكتشفت عليه فى الكهف. وكانت كل منهما ملفوفة لوحدها.. وعندما تم وصلهما أغلتا لفافة من خمسة دروج من

الرقوق مخاطة معًا. وكان طول اللفافة الكلى ستة أقدام تقريبًا، بينما بلغ العرض تسع بوصات ونصف وبداية المخطوط مفقود وبالحسابات الدقيقة يكون الطول الحقيقى للفافة هو سبعة أقدام.

وقد كتبت المخطوطة بخط واضح وتحمل التمزقات البسيطة التى نتجت عن التداول والاستعجال على نحو ما لمسناه فى لفافة عيساياه الكبيرة. وكانت المخطوطة فى بداية اكتشافها هشة ولكن تمت تقويتها وأصبحت فى حالة جيدة وكتبت محتويات الوثيقة فى أعمدة بالطريقة المعتادة وأسلوب الكتابة لم يختلف كثيرًا عن عمل الناسخ الذى نسخ لفافة عيساياه الكبيرة. ويصل عدد الأعمدة فى نص (دليل النظام) أو "لائحة المجتمع" إلى أحد عشر عمودا فى النسخة العبرية مع متوسط ٢٦سطرًا فى العمود. وقد أكل النمل الأبيض سطرًا أو سطرين من أسفل معظم الأعمدة وبخلاف ذلك لم يكن هناك تلف فى النص إلا أنه يفتقر إلى عنوان أصلى.. وكان من بين قطع المخطوطات التى توالى ورودها إلى متحف فلسطين عمودان كاملان من نص اللائحة ينتميان إلى مخطوطة (لائحة المجتمع)؛ وقد جاءا من كهف قمران رقم ١ أيضًا وكان ثمة تلف فى نهاية العمود الثانى ومن ثم صعب علينا أن نقرر ما إذا كانت القطعتان (كل منهما تضم عمودًا) إذا ضمتا معا تمثل سياقا متصلا أم لا. وأكثر من هذا فهناك شك حول ما إذا كان العمود الأول فعلا يمثل بداية الوثيقة كلها.

وتعتبر (لائحة المجتمع) أهم مصدر للمعلومات والمعرفة المتعلقة بطبيعة المجتمع الدينى الذى عاش فى قمران. وتكشف هذه الوثيقة عن أن هذا المجتمع كان يتألف من مجموعة من الكهنة (القساوسة) والعامة الذين عاشوا حياة مجتمعية فى تكريس مباشر لله وتبدأ اللفافة بعبارة أو بيان موجه بما يجب عمله من جانب هؤلاء الذين يرغبون فى "الدخول إلى الدير" واتبع ذلك بصيغة الشعيرة الطقسية. ويفهم من اللائحة أن كل عضو فى المجتمع يجب أن يجدد عهد الطاعة سنويًا. وفى ذلك الوقت يتم تذكيره بالنقائص التى تستوجب استبعاده من مراتب الأخوة.

وفى وسط العمود الثالث من النص العبرى نجد قسما خاصًا يتعلق بطبيعة المرء

ويعدد منبع وأصل الخطيئة وكيفية تدبيرها. ويعتبر العمود الخامس بداية القواعد التى تحكم تنظيم المجتمع الصحيح. وبهذه القائمة من القواعد التى تشغل خمسة أعمدة كاملة يكتمل المخطوط مع مساحة لمزمور تكريس ختامى.

ويفهم من اللائحة بوضوح شديد أن أعضاء المجتمع متأثرين بقوة شديدة ومتمسكين بأنهم (إسرائيل الحقيقية) وهم فى انتظار تأسيس الحكم الإلهى على الأرض. وإلى أن يتحقق ذلك ويصبح حقيقة أتبعت الطائفة نظامًا صارمًا تحت قيادة كبار السن والكهنة وانغمست فى دراسات متصلة للكتاب المقدس وانخرطت فى عبادة روحية.

أما فيما يتعلق بترانيم تقديم الشكر التى جاءت مخطوطتها أيضًا من كهف قمران رقم ١ فقد كانت فى أربعة أقسام منفصلة عندما أغلها الكهف واشتراها البروفيسور سوكنيك وكانت الأقسام الثلاثة الأولى قد حزمت معًا بطريقة عادية بينما استعصى القسم الرابع على الفرد والفض لبعض الوقت. ويذكر الثقاة الذين اشتغلوا على تلك اللفافات أن جلد تلك الترانيم قد تحدى الزمن والطبيعة رغم أن بعض مواضع الوثيقة كانت فى مرحلة متقدمة من التحلل وسهلت قراءتها بعد تصويرها بالأشعة تحت الحمراء. وبعد وصل القطع الأربع من الوثيقة معًا، أعطت الشكل الأصلى للوثيقة والذى ضم خمسة عشر عمودًا بطول ١٢ بوصة وكان متوسط عدد السطور فى العمود ٣٩ سطرًا وجرى تخمين الطول الاصلى الاول للوثيقة بنحو سبعة أقدام ونصف.

وقد كتبت الترانيم بخط يقارب خط مخطوطة (عيسياه الكبيرة) ولكن الدراسة الباليوجرافية كشفت عن احتمال اشتراك اثنين من الخطاطين فى نسخ المخطوطة وتصحيح بعض أخطاء النسخ. ويبلغ عدد مقطوعات الترانيم عشرين مجموعة وتعكس تقاليد مجتمع قمران وتبدأ غالبية المقطوعات بالشكر الشخصى لله، ومحتوياتها بعد ذلك تشير إلى ارتباط واضح مع مزامير الكتاب المقدس وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة الشخصية القائمة بين العبد والله.

هذه الترانيم تعكس نمطين متميزين من كتابة الشعائر سادا طيلة قرنين من

الزمان وربما أكثر قبل الحقبة المسيحية. هذان النمطان هما: ترانيم تقديم الشكر التى تبدأ بعبارة الشكر لله وتلك التى تبدأ بصيغة التبريك التى تفتتح المزمور أى الترنيمة. ورغم الاعتماد الواضح على الموروثات الفكرية العبرية والأوجارينية فإن هذه المقطوعات الشعرية كانت هى التعبير الأصلى عن الجماعة الدينية التى عاشت فى قمران.

ومن أمثلة هذه الترانيم التى جاءت فى مخطوطة الشكر:

"أنا شاكر لك يا الله

"لأنك لم تتخل عنى رغم أننى أعيش

"كسكن مؤقت بين أمة وشيجة

"ولم تؤاخذنى بذنوبي

"بل أنقذتنى من الهلاك".

ومن المزامير البندكتية نقتطف:

"إنك مبارك يا الله

"فأنت لم تتخل عن اليتيم .. ولم تمقت الفقير

"إن قدرتك لا حدود لها ومجدك ليس له قياس".

ولقد أشار بعض الباحثين إلى أن (المعلم الحق أو المستقيم) كان هو مؤلف هذه الترانيم حيث وردت الإشارة فى إحدى الترانيم إلى معلم الشريعة المحاط بالكثير من الأعداء.

أما سفر لاميش الذى تم استخراجه أيضًا من الكهف رقم ١ فقد كان الوثيقة التى طال صبر الباحثين فى انتظارها وهى تمثل المخطوطة الرابعة الأخيرة التى اشتراها كبير الأساقفة صموئيل والتى أخذها معه إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٤٨ وقد استعصت هذه المخطوطة على كل محاولات الفض والفرد فى الولايات المتحدة. ولأن كبير الأساقفة كان فى ذلك الوقت قلقا بسبب تآكل القيمة المالية للمخطوطات فقد أصر على استرداد المخطوطات الأربعة إلى حوزته. وعندما

وصلت المخطوطات الأربعة إلى دولة اسرائيل سنة ١٩٥٤ هناك فقط جرت محاولة ناجحة لفض وفرد تلك المخطوطة و قراءة ما بها من محتويات.

عند فحص هذه اللفافة اكتشف أنها كانت فى حالة سيئة من الحفظ وتطلبت كل مهارة وصبر البروفيسور ج بيبركروت الذى استطاع فض اللفافة وإعادة بنائها. ومن الحالة العامة للوثيقة يمكن أن نكتشف أنها تعرضت للاستخدام فترة طويلة من الزمن ويمكن تخمين أنها لم تحفظ فى آنية فخارية ولسبب تعرضها لظروف المناخ وأكل الحشرات يمكننا القول بأن المخطوطة كانت ملقاة لفترة طويلة على جانب واحد منها على الأرض قبل اكتشافها ولم تتحسن حالتها السيئة بعد ذلك بسبب تعرضها لدرجات متفاوتة من الحرارة والرطوبة ونقلها من بلد لآخر عبر سبع سنين قبل أن تستقر فى مثواها الأخير.. فى إسرائيل.

وبعد إنتهاء فض اللفافة انكشفت الحالة السيئة التى كانت عليها فقد كانت هناك ثقوب عميقة وتجعدات ومواضع غير مقروءة وخاصة على جوانب اللفافة. وبسبب تلك الصعوبات المادية كانت هناك صعوبات أيضا بالغة فى قراءة المخطوطة.. وقد صدر تقرير مبدئى عن محتويات المخطوطة سنة ١٩٥٦ يحمل إلى مجتمع الباحثين المعلومات التى طال انتظارها حول هذه المخطوطة ومحتوياتها.

ولما كانت المخطوطة فى حوزة الباحثين الأمريكيين فقد فحص تريفيز قطعة منفصلة عن المخطوطة وقرر أنها المخطوطة المفقودة منذ أمد طويل ومن إشارة إلى لاميش وزوجته بات – إينوش، واستخلص أنها السفر الأبوكرافى (سفر لاميش) وبسبب هذا الرأى عرفت اللفافة بين الباحثين بهذا العنوان. ولكن بعد مزيد من البحث والتدقيق اتضح أنها صيغة آرامية لعدة فصول باكرة من "سفر التكوين" تتعلق أساسًا بحياة وتراجم البطارقة ويتفق فى طبيعته مع السفر الأبوكريفى (سفر اليوبيل). ومن ثم يكون إطلاق الإسم لاميش قد جاء عرضا ولمجرد الإشارة للغرض الأكبر من العمل الذى ما يزال حتى الآن مجرد تجميع لفصول مختارة من سفر التكوين محتذيًا بذلك أسلوب الكتابات الأبوكريفية.

وقد ركز التقرير المبدئى بصفة أساسية على الأعمدة الثلاثة الأخيرة من

المخطوطة التى كانت حالتها سليمة وأفضل كثيرا من الأعمدة الأخرى. كما عنى التقرير بالعمود الرابع من النهاية التى عنيت بسرد الأحداث من سفر التكوين وكذلك عنى التقرير بالعمود الثانى الذى تضمن الإشارة إلى لاميش وربما نشر حتى تتضح الصلة.. والمتأمل فى هذه المخطوطة سيجد أنها أعدت بنفس الطريقة التى أعدت بها سائر مخطوطات قمران فقد دونت الكتابة على الجانب الذى فيه الشعر من الجلد تحت خطوط السطور بخط واضح شبيه بخط الوثيقة العسكرية (كتاب الحرب) مع ترك مسافات معقولة بين الكلمات وخلو من أخطاء النسخ. ولقد تكون المخطوط فى البداية من أربعة دروج أو أفرخ، وعلى الرغم من عدم وجود بداية ونهاية النص فإن من الممكن تقدير حجم هذه اللفافة الذى يعتقد إنه كان تسعة أقدام طولاً فى قدم واحد عرضًا. وقد قرر الدكتور بيبركروت أن الحبر المستخدم فى كتابة اللفافة ساعد على تحلل اللفافة نفسها حيث تفاعل مع بعض مواضع الجلد وتسبب فى انطماس الحروف فى النص؛ بينما فى مواضع أخرى تآكل الجلد تمامًا وتسبب فى حدوث ثقوب فى اللفافة. ويبدو أن الحبر كان يحتوى على مادة حمضية تفاعلت مع الجلد وأضعفته.

وباستعراض بعض محتويات هذه اللفافة سوف نجد أن العمود الثانى يحتوى على ستة وعشرين سطرا ويحكى قصة لاميش على لسانه، بينما العمود الخامس عشر والسابع عشر يحكيان قصة تقسيم الأرض بين أبناء نوح فى حين يتناول الفصل الثامن عشر قصة إبراهيم فى أور – وحران. ولعل أكمل الأعمدة كانت الأربعة الأخيرة (من ١٩ – ٢٢) وحيث يتناول العمودان الأولان(١٩، ٢٠) الأسباب التى دعت إبراهيم إلى أن يطلب من سارة إخفاء هويتها أمام الفرعون والأحداث التى وقعت بعد استقبالها فى القصر الملكى. والعمودان الباقيان (٢١ و٢٢) يحكيان رحلات إبراهيم فى أرض كنعان وحرب الملوك الأربعة وهزيمتهم.

أما فيما يتعلق بلفافة الحرب أو اللفافة العسكرية أو لائحة الحرب فقد نشرها سوكنيك تحت عنوان (حرب أبناء النور مع أبناء الظلام) وباستثناء بعض تحلل الحافة السفلى فقد وصلتنا سليمة تمامًا وربما كانت الوحيدة التى احتفظت بالغلاف

الخارجى وعندما تم فردها وفضها كانت تبلغ تسعة أقدام طولاً وأكثر من ست بوصات عرضًا. وقد شغل النص أربعة دروج (أفرخ) فى ١٨ عمودًا هذا إلى جانب بقية من عمود من فرخ خامس يكمل الوثيقة. وكان الخط واضحًا والكتابة منهجية قريب الصلة بخط أبوكريفا سفر التكوين أقرب من أى مخطوطة أخرى خرجت من قمران.

وكان تفريغ نص المخطوطة، قد ترك ثغرة فى النص وجدناه فى الجزء الثانى من المخطوطة وقد تسببت بعض الثغرات فى إعادة بناء النص إعادة تعسفية. وتتناول المخطوطة بطريقة إيمانية سلوك المعركة الحربية بين "أبناء النور" الذين يتألفون من قبائل ليفى وجوداه وبنيامين وبين "أبناء الظلام" الذين يتكونون من أعداء إسرائيل ومن بينهم: الفلستينيون، واليونانيون والقدوميون والمؤابيون والعمونيون. وهناك مقدمة قصيرة تتناول الصراع القادم ثم اتبعت بقائمة باتجاهات المعركة ثم الصلوات والشكر التى يجب على أبناء النور أن يرتلوها فى كل وقت. وقد رأى بعض الباحثين فى هذا الكتاب انعكاسًا للصراعات التى كانت دائرة والهزيمة العسكرية التى منيت بها إسرائيل والكنعانيون على أيام جوشوا، بينما رأى فيها آخرون نوعا من التشابه مع الطرق الرومانية فى إدارة الحرب. ويرى البعض الثالث أنه لم يكن هناك فى ذلك الوقت أى صراع عسكرى حقيقى أو رؤيا لأرماجيدون عندما تمت كتابة هذه المخطوطة.

وفيما يتعلق بقطع مخطوطة سفر دانييل التى أغلها الكهف رقم ١ فى قمران ووقعت فى حوزة كبير الاساقفة صموئيل فقد كان عددها ثلاث قطع وتوفر البروفيسور ج. إ. رايت على وصفها على النحو الآتى:

"بين أكوام قطع الجلد المتبلدة كانت هناك ثلاث قطع من سفر دانييل إلى جانب قطع أخرى عديدة من كتابات دينية عبرية. ومن الطريف أن قطع دانييل الثلاث تنتمى إلى مخطوطتين مختلفتين، واثنتان منها تقترب باليوجرافيا من لفافة عيسياه الكبيرة، بينما الأخرى تشير إلى حد كبير خط حبقوق. وثمة قطعتان من نفس العمود وتحملان أجزاء من دانييل بالآرامية بينما القطعة الثالثة تحمل أجزاء من

عمودين من دانييل. وإحدى القطعتين تبلغ ٤ ×٤,٥ بوصة وزميلتها من نفس العمود تبلغ ٢,٥ بوصة مربعة؛ والقطعتان معًا تشيان بأن العمود كان يبلغ ست بوصات عرضًا. أما القطعة الثالثة فتبلغ ٥,٥ × ٣ بوصات وكان عرض الأعمدة يقل عن ٤ بوصات. والنص هو نفس النص العبرى المعيارى (النص المازورى) وربما كان الخلاف هو فقط كما الحال فى مخطوطة عيسياه فى هجاء الكلمات. كان هذا استعراضًا لأهم ما أغله الكهف رقم ١ فى قمران.

وقد يكون من المفيد أن نستعرض بعد ذلك أهم ما أغلته بقية الكهوف التى اكتشفت بها مخطوطات أو قطع مخطوطات. ذلك أن الكهف رقم ٢ قد أغل نحو ٢٠٠ قصاصة مخطوطة توفر متحف فلسطين على شرائها هو ومدرسة دراسة الكتاب المقدس. وكانت الكتابات القانونية (الشرعية) فى هذه المجموعة تمثل أقسامًا قصيرة من أسفار: جيريمياه، روث، المزاميروبعض أشعار موسى. ومن بين هذه الأخيرة قطعة من ليفيتيكوس بالعبرية قريبة الشبه بتلك التى كشف عنها الكهف١، وأثبتت هذه القطعة أنها ذات أهمية خاصة بسبب شكل الخط القديم الذى كتبت به. وكانت الكتابات الخارجة عن الكتابات المقدسة تمثل قسمًا كبيرًا من غلة هذا الكهف وكانت فى الأعم الأغلب كتابات إيمانية تتعلق بالآخرة أو دفع مطاعن الوثنية أو الحركات الميزيانية. وبين تلك القصاصات قطعة سفر اليوبيل بالعبرية شبيهة بقطعة سفر اليوبيل التى وجدت فى الكهف رقم ١.

وتذكر المصادر الثقاة أن الكهف رقم ٣ والذى يقع على بعد ميل واحد شمال الكهف رقم ١ قد أغل عددا كبيرًا من قطع المخطوطات وكان الولوج إلى تلك المخطوطات صعبًا لأن السقف قد أنهار على ما فيه منذ زمن بعيد ولكن فى النهاية أغل الكهف عدة مئات من قصاصات المخطوطات المختلطة. ومن بين قطع الكتاب المقدس نجد أقسامًا محدودة عبارة عن شروح وتفاسير للسطور القليلة الأولى من عيسياه مع قطع من سفر الأحزان وسفر التكوين.. ومن مخطوطات الأبوكريفا نجد أجزاء ممزقة من الترانيم. ودليل الطائفة وعدة نصوص وثنية بالعبرية والآرامية. ولعل أخطر ما تم كشفه فى الكهف ٣ هو لفافات من النحاس

الأحمر وقد أفلتا من التلف الذى حاق بالمخطوطات الأخرى فى الكهف فى العصور القديمة. وكانت إحدى اللفافات تقع فى قطعتين. وفى الأصل تبدو الشرائح أنها كانت منفصلة ثم رتقت معًا لتشكل درجًا (فرخًا) معدنيا. ويبلغ طولها ثمانية أقدام وعرضها قدمًا واحدًا. وقد حفر الخط على سطح اللفافة وعندما تم طى اللفافة طوى السطح المكتوب للداخل؛ وعندما اكتشفت اللفافات كان النحاس قد تأكسد بالكامل مما ألقى صعوبات بالغة أمام فض اللفافتين. وعند إتمام عملية الفض والفرد كان البروفيسور كوهن من جامعة جوتنجن قد فحص الشكل الخارجى للفافات سنة ١٩٥٣ واستطاع قراءة بضع كلمات وفهم منها أن اللفافة مخصصة لتحديد الأماكن وكميات الكنوز التى خبأها مجتمع قمران الدينى بعد مغادرتهم الموقع. وقد اختلفت وجهة النظر هذه مع تلك التى اعتنقها الدكتور ف.م. كروس وغيره حيث اعتقد أن الوثيقة كانت معلقة على الحائط فى مبنى مركز المجتمع وربما تكون قد تضمنت قواعد سلوك عامة المجتمع وربما بعض المعلومات الرسمية الأخرى.

وقد أجريت بعض الاختبارات المعدنية فى جامعة جونز هوبكنز بهدف إذابة الأوكسيد وتحويله إلى نحاس مرن ولكن التجارب فشلت. وأجريت تجارب مماثلة فى بريطانيا ولكنها فشلت أيضًا وكان الحل هنو تقطيع اللفافتين إلى شرائح. وبالفعل تم نقل اللفافات إلى بريطانيا ١٩٥٥ و١٩٥٦ وعهد إلى البروفيسور هـ.و. بيكر بالقيام بهذه المهمة وكان الرجل أستاذًا فى كلية ما نشستر للتكنولوجيا. وبعد تصوير النص فوتوغرافيا بالأشعة تحت الحمراء، أعيدت اللفافات إلى عمان الأردن فى إبريل ١٩٥٦.

وعندما تمت قراءة محتويات المخطوطات أثبتت نظرية البروفيسور كوهن صحتها، إذ أنه بعيدًا عن قائمة تعليمات المجتمع فهرست المخطوطات نحو ستين كنزًا تضم أموالاً طائلة مخبأة فى أماكن محددة موزعة على كل أنحاء يهوذا القديمة ووصفتها وصفًا دقيقًا. ولسوء الحظ لم نتمكن من العثور على هذه الكنوز وخاصة

تلك المرتبطة بأوقاف المعبد فى القدس. وفى قناعتى أن السبب فى ذلك هو تغير أسماء الأماكن والمواقع عبر القرون (أكثر من عشرين قرنًا) والانطماس المعالم. والاقتباسات الآتية من هذه اللفافات قد تفتح الشهية:

- فى الصهريج الكبير الذى فى ساحة البريستيل، وفى منخفض فى قاعها تمت تخبئة ثمانمائة تالنت فى حفرة قبالة الفتحة العليا.
- فى الصهريج الذى تحت المتراس فى الجهة الشرقية وفى مكان تم تجويفه فى الصخرة هناك ستمائة بارة من الفضة.
- بالقرب من وتحت الركن الجنوبى من الممر وعند مقبرة زادوك وتحت العماد فى القاعة الكبرى هناك وعاء للبخور من خشب الصنوبر ووعاء للبخور من خشب السنًا.

ومن هذه الأوصاف يتضح أن مؤلف الكتاب قد صنف المواد أولا حسب المواضع العامة ثم المواضع الخاصة وعمق المخزن وسعته بالذراع (الذراع ١٨ بوصة) وكمية وطبيعة الكنز. وقد توفر عدد من الباحثين على دراسة حجم هذه الكنوز كلها فكان مجموعها يساوى ستة آلاف تالنت (وحدة نقد رومانية قديمة) أو ما يساوى طنين من الذهب والفضة (٢٠٠٠كجم) وقد أثارت هذه اللفافات الجدل حول حقيقتها ومدى واقعيتها خاصةأن المجتمع الذى أفرزها كان مجتمعًا فقيرًا متقشفًا فكيف يتأتى له أن يكتنز هذه الأطنان من الذهب والفضة ويرى البعض أنهم قد ورثوها عن أجدادهم الاسرائيليين أو أن هذه المبالغ كانت قد فقدت من الأجداد. وأيا كان الأمر فإن بعض الباحثين يرون أن هذه الثروة حقيقية بدليل أن اللفافات كتبت على عجل من حيث حفر الحروف وتم لف اللفافات على عجل وتم تفصيلها على عجل وعلى يد شخص غير ماهر مما يدل على أن اللفافات كتبت وأعدت فى فترة طوارئ ربما سنة ٦٨م وأيا كانت القيمة التاريخية لفهرس الكنوز هذا فإن النص نفسه ذو أهمية لأنه كتب فى القرن الأول الميلادى باللهجة العامية وليس بالعبرية الفصحى (عبرية الكتاب المقدس). وحتى وقت قريب لم تكن تلك العامية مستخدمة إلا فى بعض الكتابات اليهودية الدينية التى كانت

المشناة أقدمها، ولكن الآن أصبحت لفافات النحاس من قمران أقدم من المشناه فى هذا الاستخدام.

لقد وقع فى أيدى البدو المجدين فى أغسطس ١٩٥٢ فيض غير متوقع من قطع المخطوطات قبل الإعلان عن اكتشاف هذا الكهف، وقد قاموا ببيعها وتوزيعها على نطاق واسع. وقد أدانت مصلحة الآثار الأردنية هذا السلوك البدوى غير المشروع واستولت على الموقع فى سبتمبر ١٩٥٢ واعتبرته ضمن نطاقاتها والكهف الذى نقصده هنا هو كهف قمران رقم ٤ والذى يقع على السطح الطينى فى مركز المجتمع وعلى مرمى حجر من الأطلال نفسها وكما ألمعت استجابت الجمعيات والمؤسات العلمية حول العالم لنداء الحكومة الأردنية وقدمت معونات لا حدود لها مما يساعد على شراء قطع المخطوطات التى وقعت فى أيدى البدو. هذه القطع والقصاصات التى جمعتها الفرق الأثرية الرسمية كشفت عن أن هذا الكهف (قمران ٤) كان فى وقت من الأوقات يضم أكثر من ٣٠٠ مخطوط ثلثها على الأقل يحتوى على كتابات مقدسة. هذه المخطوطات وصلتنا فى عدة آلاف من القطع والقصاصات، نشر بعضها تباعا مع عقد الستينات من القرن العشرين.

وبصرف النظر عن سفر إيثر فقد مثلت سائر أسفار الكتاب المقدس العبرى فى هذه القطع المخطوطة وربما بعدة نسخ. أما عن الكتابات التاريخية فقد كان من بين تلك القطع مخطوطات حول: القضاة، صمويل، الملوك. وكانت هناك قطع عديدة من (عيسياه) والمزامير، أسفار موسى والأنبياء الأصاغر والكتابات خارج الكتاب المقدس مثل سفر إينوخ، عهد ليفى، كتاب توبيت، لائحة المجتمع، وثيقة دمشق. ولكن كلها كانت مقطعة وكان من بين هذا الفيض من القطع المخطوطة شروح وتفاسير للكتاب المقدس، كتابات طقسية وشعائرية، كتابات خاصة بسفر الرؤيا والنصوص المزورة أو المقلدة.

وبينما كان التنقيب والكشف يجرى هنا على قدم وساق كان هناك اكتشاف لكهف أبعد هو الكهف قمران رقم ٥ الذى اكتشفه الأثريون الرسميون ولم يسبقهم إليه البدو ووجدت فيه مجموعة من القطع مفككة تمامًا، وبعد الفحص المبدئى لهذه

القطع فى نهاية ١٩٥٣ وجد بينها قطع من سفر تثنية الاشتراع إلى جانب قطع من الملوك ١، سفر الأحزان وكان هناك كتاب إيمانى حول الأحوال الأخروية كتب بالآرامية واتخذ عنوان (وصف الحياة فى القدس الجديدة) وقد عثر عليه فى هذا الكهف: قمران رقم ٥ على هيئة شرائح مفككة، وكان شبيها بالقطع الأخرى من نفس العمل والتى عثر عليها فى كهوف أخرى فى قمران.

وفى الكهف رقم ٦ قمران الذى اكتشفه البدو بالقرب من فم أو رأس الوادى تم العثور على عدة مئات من القطع المخطوطة على جلود ويردى من بينها كمية محدودة من الكتاب المقدس من سفر التكوين وعهد ليفيتيكوس كتب بخط عبرى قديم، كما عثر على أجزاء من أسفار الملوك، وخمس قطع من سفر دانييل. وقد مثلت الكتابات غير المقدسة بقطعة صغيرة من وثيقة دمشق وعدة كتابات من سفر الرؤيا، وقطعة من إينوخ أو عدة نصوص آرامية.

وفى خمسة اكتشافات متوالية (٧- ١١) فى وادى قمران أغل الكهف رقم ١١ قمران فى مطلع ١٩٥٦ عدة مخطوطات فى حالة ممتازة من الحفظ.. وربما كان كتاب المزامير هو الوحيد بين هذه المجموعة الذى به بعض التلف، بينما قطع من سفر دانييل من كهوف أخرى قد استكملت على غير توقع بمخطوطتين من دانييل من هذا الكهف. وكان لاكتشاف ترجمة آرامية لسفر أيوب فى حالة مفككة ذا أهمية خاصة ذلك أن الكتيب التالمودى (شبَّاث) قرر أن هذه الترجمة وقعت فقط فى القرن الأول الميلادى. وطبقًا لهذا الاكتشاف يكون العالم جماليل قد أمر بهذه الترجمة ووضعها داخل "المعبد الثاني" حين تمت توسعته فى عهد هيرود.

وكانت المخطوطات التى تم اكتشافها فى كهوف وادى المربعات فى الشهور الأولى من ١٩٥٢ ذات طبيعة مختلفة ونظام مختلف عن تلك التى تم كشفها فى كهوف قمران. وحيث جاءت كل مخطوطات وادى المربعات من الكهف الثانى (مربعات ٢) وقد مثلت صعوبة شديدة فى تحقيقها لأن البردى والجلد الذى كتبت عليه تلك المخطوطات ربما تقلص إلى خرق وأسمال بفعل القوارض والطيور.

وعندما تم تحقيق هذه المخطوطات أتضح أنها ترجع إلى القرن الثانى الميلادى وكتبت باليونانية والعبرية والآرامية. ويرى الثقاة أنه ربما كان أهم عمل خرج من وادى المربعات هو طرس بردى مكتوب بخط عبرى قديم يرجع إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلادى، ويسبق ذلك الخط الذى كتبت به (شقافة لاكيش) والتى كان ميليك قد أرخها بالقرن الثامن قبل الميلاد. والنص الجديد الذى يحمله هذا الطرس عبارة عن كشاف بأسماء، وأرقام وبعض علامات ، بينما كانت الكتابة الأصلية الممحوة بمهارة عبارة عن خطاب تحية من نوع الاخوانيات. ومخطوطة بهذا القدم هى شيء خرافى واكتشاف غير متوقع من بلد مثل فلسطين وحيث الظروف المناخية غير مواتية بالمرة وحتى لو اتخذت كافة احتياطات الحفظ.

ومن بين مكتشفات وادى المربعات كانت هناك قطع من أسفار موسى الخمسة وسفر عيسياه كلها مؤرخة بالقرن الثانى الميلادى وهى ذات أهمية خاصة بسبب تطابقها الشديد مع النص المعيارى المازورى. وكانت هناك بعض الكتابات غير المقدسة باليونانية على بردى ساعدت على تأريخ هذا الفيض من القطع المخطوطة. ومن بين القطع المخطوطة التى وجدت فى حالة سيئة ولكن لها قيمة اجتماعية ودينية عقد زواج أرخ بالسنة السابعة من حكم هادريان أى ١٢٤ م. ولقد ألقت مخطوطات وادى المربعات المزيد من الضوء على تلك الفترة من التاريخ الفلسطينى وحيث وجد من بينها بعض البرديات العبرية التى كتبها سيمون بن كوخبا قائد الثورة اليهودية الثانية سيئة الحظ (١٣٢ - ١٣٥م) إلى قواته الفدائية فى وادى المربعات. ذلك أن بن كوخبا ثار ضد الرومان سنة ١٣٢م واعتبره اليهود فى يهوذا المسيح المنتظر أو بمعنى أدق المسيخ الذى طال انتظاره. وقد رأى فيه الربابينى أكيبا بصفة خاصة الذى كان أهم سلطة دينية فى ذلك الوقت، رأى فيه النجم المنير فى سماء يهوذا والذى تنبأ بظهوره بلعام منذ عدة قرون سابقة لكى يخلص إسرائيل. وبسبب ذلك التعريف أطلق عليه الأنصار (سيمون بن كوخبا) وأطلق عليه خصومه الذين اختلفوا حول كونه المسيح المنتظر سخرية وتهكما (سيمون بن كذبة).

ويمكن ترجمة أحد تلك الخطابات التى بعث بها الرجل إلى قواته على النحو الآتى:

"من سيمون بن كوسيباه إلى يشوا بن جالجولاه وإلى رجال صحبتك، تحياتى. إننى أدعو السماء أن تشهد ضدى إذا كان واحد من أهل الجليل الذين قمت بحمايتهم، يسبب أى اضطرابات فسوف أضع القيود فى قدميك كما فعلت مع بن – أفلول.. سيمون بن – كوسيباه".

ومن هذا الخطاب وغيره يعرف أن اسمه الحقيقى هو "بن – كوسيباه" وأن الأسمين الآخرين هما تلاعب فقط بالصفات. وهناك خطابات أخرى من نفس الفترةكتبت بالخط اللاتينى المضلع (المدور) تدل بما لا يدع مجالا للشك أن الرومان كانوا قد أحكموا قبضتهم على وادى المربعات بعد احتلالهم له. وقد و صلتنا قطع من الكتاب المقدس من كهف وادى المربعات ٢ فى حالة سيئة ولكنها قاومت لتقول لنا بوضوح أن مخطوطات سفر التكوين وسفر عيساياه وسفر تثنية الإشتراع وسفر الخروج كانت من بين المخطوطات الشائعة فى كهوف وادى المربعات. ولقد أفلتت إحدى التمائم (التعاويذ) من التلف ووصلتنا كاملة وأثبتت أن هناك تشكيلة متأخرة مختلفة عن قطع التمائم (التعاويذ) التى وصلتنا من كهوف قمران. وحقيقة أن هناك خطابات وصلتنا من هذا الموقع مكتوبة بالعبرية إنما تدل على أن هذه اللغة كانت ما تزال مستخدمة كلغة حية فى مطالع القرن الثانى الميلادى؛ وذلك مما يدحض القول بأن اللغة العبرية غدت لغة ميتة قبل ذلك التاريخ بعدة قرون.

أما قطع المخطوطات التى تم كشفها فى خربة مرد على يد البعثة الأثرية البلجيكية فى مطالع ١٩٥٣، على بعد ثلاثة أميال شمال شرق دير (مار سابا) الدير المسيحى القديم بالقرب من بيت لحم، هذه القطع كتبت بالعربية، والسوريانية، واليونانية، وكان من بينها مواد مسيحية – . وقد أغل هذا الموقع قطعًا من مخطوطات الكتاب المقدس ولكن جميع المخطوطات التى تم كشفها هنا متأخرة فى تاريخها عن كل من مخطوطات وادى قمران و وادى المربعات وترجع إلى العصر البيزنطى المتأخر والعربى الباكر. ومن نفس خربة مرد ولكن دون تحديد للمكان جاءت

بعض المخطوطات البردية وهى أساسًا عقود نبطية ويهودية. وإحدى هـذه الوثـائق يحمل تاريخا سجل على النحو الآتـى (الـسنة الثالثـة مـن حريـة إسرائيـل) ويقـدره الباحثون بسنة ١٣٥م وهى السنة الأخيرة للثورة اليهودية الثانية.

وربما كان من المخطوطات ذات الأهمية والتى وجدت هنا فى خربـة مـرد قطعـة مخطوط على جلد من سفر الأنبياء الأصاغر مكتوبة باليونانية، نشرت جزئيًا على يـد بارتليمى سنة ١٩٥٣. وقد كتبت بخط الأونسيال الجميل. ويشتمل هذا المخطـوط على أجزاء من أسفار: ، جوناه، ناحوم، حبقوق، زيفانياه، زكرياه وتم تأريخه بالقرن الأول الميلادى. ويرى الثقاة أن لهذا المخطوط أهمية خاصة فى دعم تأريخ ومراحـل إعداد الترجمة السبعينية.

وسوف نتناول فى فصول تالية من هذا البحث بعض اللفافات لأهميتها بشيء من التفصيل.

* * *